مفهوم الجمال، ومعاييره، ومقاصده الشرعية من خلال السنة النبوية

د. قاسم عمر حاج امحمد
شعبة العلوم الإسلامية / جامعة غرداية

مقدمة:

إنّ الجمال قيمة من القيم الإسلامية التي نطقت بها الآيات في الكتابين المسطور والمنظور كليهما، فالمتأمل في الكتاب الأول يجد تصويرا بديعا لقيمة الجمال في سياقات مختلفة، ومثله في السنة النبوية المبينة لما جاء فيه مجملا.

ولا يخفى على كل منصف أن قضية الجمال وجدت نفسها بتوازنها وبهائها المميز لها في رحاب المنهج الإسلامي بوسطيته المعهودة وتقديره المتوازن لكافة الأمور ومارس الجمال في ظل دوحة الإسلام دورا ملموسا سواء في العقيدة أوفي الجانب النفسي أوفي الأحكام الفقهية ليظهر في المنهج الإسلامي بثوب قشيب أهم سماته الطهارة والنقاء التي لم يعهدها في أي حضارة أخرى.

وأحاول في هذا البحث بيان مفهوم الجمال وصفاته وخصائصه وعلاقته بالجانب التشريعي والإيماني من خلال السنة النبوية، وفق الخطة الآتية:

المطلب الأول: مفهوم الجمال، وموارده في السنة النبوية.

أولا: مفهوم الجمال لغة واصطلاحا.

ثانيا: موارد الجمال في السنة النبوية.

المطلب الثاني: المعايير المحددة للجمال من خلال السنة.

أولا: شمائل النبي ﷺ وأوصافه.

ثانيا: المعيار الشرعي.

ثالثا: المعيار العقدي.

المطلب الثالث: مقاصد التجمّل والجمال وغاياتهما الشرعية.

أولا: تحقيق مقاصد الشريعة (حفظ الدين، حفظ العرض).

ثانيا: إظهار نعمة الله تعالى.

ثالثا: الترغيب في الإسلام وفي التكاليف الشرعية.

خاتمة.

المطلب الأول: مفهوم الجمال، وموارده في السّنّة النبوية.

أولاً: مفهوم الجمال.

المفهوم اللغوي:

قال سيبويه: الجَمَالُ رقة الحسن، والأصل "جَمَالَةٌ" بالهاء، مثل صبح صباحة، لكنهم حذفوا الهاء تخفيفا لكثرة الاستعمال، وتَجَمَّلَ تَجَمُّلاً بمعنى تزين وتحسّن.[1]

وقال الراغب: الجمال الحسن الكثير، وهو ضربان، أحدهما يختص بالإنسان في نفسه وفعله، الثاني ما يصل منه لغيره.[2]

المفهوم الاصطلاحي.

لم يتفق العلماء والكتاب –في حدود اطلاعي– على تعريف محدد للجمال يميزه عن غيره، وإنما اكتفوا بوصفه وبيان خصائصه باعتباره مرادفا لمعنى الحسن والبهاء، وأنقل هنا ما قاله أبو حامد الغزالي في الإحياء في بيان حقيقة الجمال ومميزاته، حيث قال: "كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن

---

1 – الفيومي، **أحمد بن محمد بن علي المقري**، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير؟، المكتبة العلمية، بيروت: 110/1.

2 – المناوي، محمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، 1410 هـ: 251/1.

له، فاذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر.

فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه، والخط الحسن كل ما جمع كل ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها".[1]

وبما أن تحديد ما يليق وما لا يليق بالمخلوقات أمر تتفاوت في إدراكه وتقديره العقول والنفوس، فإنه بالتالي يصعب وضع حد للجمال بصفة عامة يميزه عما سواه.

كما أن ابن القيم أيضا اكتفى عند الحديث عن الجمال بوضع تقسيم ثنائي له، ولم يضع له تعريفا خاصا، وبين علة ذلك فقال: "وهذا فصل في ذكر حقيقة الحسن والجمال ما هي؟، وهذا أمر لا يدرك إلا بالوصف، وقد قيل: إنه تناسب الخلقة واعتدالها واستواؤها، ورب صورة متناسبة الخلقة وليست في الحسن هناك، وقد قيل: الحسن في الوجه والملاحة في العينين، وقيل: الحسن أمر مركب من أشياء وضاءة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط ودموية في البشرة، وقيل: **الحسن معنى لا تناله العبارة ولا يحيط به الوصف**، وإنما للناس منه أوصاف أمكن التعبير عنها".[2]

"اعلم أن الجمال ينقسم قسمين: ظاهر، وباطن، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة...، وأما الجمال الظاهر

---

1 – الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، الناشر : دار المعرفة، بيروت: 299/4.

2 – الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن القيم)، **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 – 1992: ص 232.

فزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض وهي من زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها يزيد في الخلق ما يشاء قالوا هو الصوت الحسن والصورة الحسنة".[1]

ثانيا: موارد الجمال في السنة النبوية.

لم يرد في السنة النبوية أيضا تعريف محدد للجمال بأسانيد صحيحة، إلا أن هناك روايات ضعيفة الإسناد يستفاد منها ذلك، من ذلك ما روي عن عمر بن إبراهيم عن أيوب بن سيار عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: جاء العباس بن عبد المطلب إلى النبي ﷺ وعليه ثياب بيض، فلما نظر إليه تبسم، فقال العباس: يا رسول الله، **ما الجمال**؟ قال: صواب القول بالحقّ، قال: فما الكمال؟ قال: حسن الفعال بالصدق» .[2]

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: أقبل العباس بن عبد المطلب وهو أبيض بضٌّ، وعليه حلّة، وله ضفيرتان، فلما رآه رسول الله ﷺ تبسم، فقال له العباس: يا رسول الله، مم ضحكت يا رسول الله، أضحك الله سنك؟، قال: أعجبني جمالك يا عم، فقال العباس: يا رسول الله، **ما الجمال** في الرجل؟ قال: اللسان».[3]

---

1 – المصدر نفسه: ص 221.

2 – البيهقي، علي بن الحسين، **شعب الإيمان**، رقم 4610: 35/7. وقال: تفرد به عمر وليس بالقوي.

3 – النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم ، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م، رقم 5424: 330/3. قال ابن حجر في تلخيص الحبير: "هو مرسل، وقال ابن طاهر: إسناده مجهول، ورواه العسكري في "أمثاله" من حديث آل بيت العباس عن العباس، وفي إسناده محمد بن زكريا الغلابي؛ وهو ضعيف جدا، ورواه أيضا عن ابن عائشة عن أبيه معضلا، ورواه الخطيب وابن طاهر من حديث ابن المنكدر عن جابر بلفظ: "جمال الرجل فصاحة لسانه"، وفي إسناده أحمد بن الجارود الرقي؛ وهو كذاب، وأخرجه العسكري في "الأمثال" من وجه آخر بلفظ: "إنّ جمال"، فذكره، وفي إسناده عبد الله بن إبراهيم الغفاري؛

وقد ورد لفظ الجمال في السنة النبوية بصيغ وسياقات مختلفة، فهو من صفات الله تعالى، حيث روي عن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله جميل يحب الجمال».

ويعني الجمال هنا حسن المظهر ونظافة الثوب، إذ ورد قوله هذا في سياق جوابه للصحابي الذي سأله عن اهتمامه بملبسه ونعله، فعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: إنّ الله **جميل يحب الجمال**، الكبر بطر الحق وغمط الناس».[1]

كما ورد الجمال بهذا المعنى أيضا أي حسن المظهر، في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها و**لجمالها**، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».[2]

ومن موارد الجمال حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس اتقوا الله **وأجملوا** في الطلب، فإن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم».[3]

ومعنى الإجمال في الطلب بحسب السياق أي الترفق واللين والهدوء والتأدّب في الطلب وعدم الجشع والجزع فيه.

وهو ضعيف"، انظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر أبو الفضل، **التّلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1419هـ-1989م: 84/4.

1 - النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، الناشر: دار الجيل، دار الآفاق، بيروت، دت، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم 91: 93/1.

2 - النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب النكاح، باب استحباب نكاح ذات الدين، رقم 1466: 1086/2.

3 - القزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله، **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر، بيروت، د ت.كتاب التجارات، باب الاقتصاد في طلب المعيشة، رقم 2144: 725/2. وصححه الألباني.

وبالجمع بين المعنى اللغوي وما ورد في هذه الأحاديث نجد أن الجمال له مرادفات عدة مثل الزينة والبهاء والحسن والرفق، وهي كثيرة الورود في السنة النبوية، ونعتمد عليها في تحديد خصائص الجمال ومعاييره كما سنوضحه في المطالب الآتية.

المطلب الثاني: المعايير المحددة للجمال من خلال السنة.

نجد من خلال تتبع نصوص السنة النبوية في موضوع الجمال ومرادفاته معايير عدة اتخذها الشرع مقياسا للجمال، فهو لا يقتصر على المعيار الظاهري كما يراه ويقدره معظم الناس، ويمكن في هذا الباب تمييز ثلاثة معايير يقاس بها الجمال من خلال السنة النبوية.

المعيار الأول: شمائل النبي ﷺ وأوصافه.

أراد الله عز وجل أن يكون نبيه قدوة وأسوة لأمته في كل شيء، حتى في الأمور الجبلية، وإن لم يكن من الواجب على المكلف اتباعها، وكان من تمام نعمة الله على عبده أن خلقه في أحسن هيئة تسر كل من رآها، وقد تفنن الرواة والشعراء في ذكر محاسن خلقة رسول الله عليه السلام، كما قال فيه حسان بن ثابت:

وأجمل منك لم تر قط عـيني وأفضل منك لم تلد النســـاء

خلقت مبرأ من كلّ عيـــب كأنك قد خلقت كما تشـاء[1]

حتى أنّ الإنسان ليسرّ عندما يجد في ذاته وجسده شبها برسول الله في جانب من الجوانب، ولذا عددنا أوصافه الخلقية معيارا من معايير الجمال.

فمما ورد في أوصافه عليه السلام عن أنس بن مالك ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، وليس بالأبيض الأمهق، وليس بالآدم، وليس بالجعد القطط، ولا بالسبط، بعثه الله على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة

---

1 - **ديوان حسان بن ثابت**، موقع: www.adab.com، ترقيم المكتبة الشاملة، الإصدار الرابع.

عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله على رأس ستين سنة، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء».[1]

وأما في سيرته، فقد روي عنه أنه عليه السلام كان مهتما جدا بجمال مظهره ونظافة ثوبه، فكل ما لبسه عليه السلام فهو جميل لأنه مفطور على الفطرة السليمة التي لا يصدر عنها إلا الحسن والصواب. فعن أبي إسحاق سمع البراء رضي الله عنه يقول: «كان رسول الله ﷺ رجلا مربوعا عريض ما بين المنكبين، كثّ اللحية، تعلوه حمرة، جمته إلى شحمتي أذنيه، لقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت أحسن منه».[2]

وعن عائشة قالت: «كنت أطيب النبي ﷺ بأطيب ما يجد، حتى أجد وبيص الطّيب في رأسه ولحيته».[3]

ثانياً: المعيار الشرعي.

ونعني بالمعيار الشرعي ما يعدّ جمالا من الناحية الفقهية، أي في باب الأحكام والحلال والحرام، فكلّ ما ورد الأمر به أو بإباحته للرّجل أو المرأة فهو جميل، وكل ما ورد النهي عنه لهما أو لأحدهما فلقبحه في نظر الشرع ولو ظهر لبعض الناس بخلاف ذلك. والقاعدة الشرعية الكلية في هذا الباب بين الجنسين النّهي عن التّشبّه، فكلّ ما فيه تشبّه الرّجل بالمرأة أو العكس فهو قبيح في نظر الشّرع، بل يعدّ من كبائر الذّنوب ويستوجب اللّعن، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال».[4]

---

1 – البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة-بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ-1987م، كتاب اللباس، باب الجعد، رقم 5900: 7/161.

2 – البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب اللباس، باب اتخاذ الجمّة، رقم 5232: 8/138.

3 – البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب اللباس، باب الطيب في الرأس واللحية، رقم 5921: 7/163.

4 – البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال، رقم 5885: 7/159.

ويبين الرسول حدود الزينة بين الرجل والمرأة فيذكر ما يختص بالمرأة دون الرجل، وهما عموما الحرير في الثياب، والذهب في المعادن والأساور، فعن عبد الله بن زرير الغافقي أنه سمع علي بن أبي طالب ﷺ يقول: «إن نبي الله ﷺ أخذ حريرا فجعله في يمينه وأخذ ذهبا فجعله في شماله ثم قال: إن هذين حرام على ذكور أمتي».[1]

يقول د. يوسف القرضاوي في بيان الحكمة من هذا التحريم: "وقد قصد الإسلام بتحريم هذين الأمرين على الرجال هدفا تربويا أخلاقيا نبيلا، فإن الإسلام –وهو دين الجهاد والقوة– يحب أن يصون رجولة الرجل من مظاهر الضعف والتكسر والانحلال، والرجل الذي ميزه الله بتركيب عضوي، غير تركيب المرأة، لا يليق به أن ينافس الغانيات في جرّ الذّيول، والمباهاة بالحلي والحلل".[2]

وأما المرأة فقد حدد الشرع ملامح شكلها الخارجي، وهو عموما الستر الكامل للجسد، والتحذير بالمقابل من التبرج وكشف العورة وما لا يحل، لاسيما الشعر، وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».[3]

1- السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود، **سنن أبي داود**، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، دت، كتاب اللباس،باب في الحرير للنساء، رقم 4059: 4/89. وقال الألباني: صحيح.

2- القرضاوي، يوسف، **الحلال والحرام في الإسلام**، الناشر: دار الهدى، الجزائر، 2007م: ص 65.

3- النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب اللباس، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، رقم 2128: 3/1680.

والرسول عليه السلام يحرص على بيان أن ذلك الشكل من تسريح الشعر ينافي الذوق السليم والفطرة السوية فيشبهه بأقبح ما يكون من الصور بأنه مثل سنام الجمل في الارتفاع فوق الجسد بما لا يتلاءم وخلقة الإنسان في أحسن تقويم، وإن كان مستساغا مقبولا في جنس الحيوان.

وفي تفاصيل الجمال نجد السنة النبوية تحرم أنواعا من التصرف في الجسد بسبب أنها نوع من الغش والتدليس وإبراز للجسد بغير صورته الحقيقية، فمنع الوصل والوشم وتفليج الأسنان، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة».[1]

وفي رواية عن سعيد تبين سبب التحريم، قال: «قدم معاوية المدينة آخر قدمة قدمها، فخطبنا فأخرج كبة من شعر، قال: ما كنت أرى أحدا يفعل هذا غير اليهود، إنّ النبي ﷺ سماه الزور، يعني الواصلة في الشعر».[2]

يقول د يوسف القرضاوي: "وبهذه الأحاديث الصحيحة نعرف الحكم الشرعي فيما يعرف اليوم بجراحات التجميل، التي روجتها حضارة الجسد والشهوات، أعني الحضارة الغربية المعاصرة، فترى المرأة أو الرجل ينفق المئات والآلاف، لكي تعدّل شكل أنفها، أو ثدييها، أو غير ذلك، فكل هذا يدخل فيمن لعن الله ورسوله، لما فيه من تعذيب الإنسان، وتغيير خلقة الله، بغير ضرورة تلجئ لمثل هذا العمل إلا أن يكون الإسراف في العناية بالمظهر، والاهتمام بالصورة لا بالحقيقة، وبالجسد لا بالروح".[3]

وأما ما يختص بالرجل من الزينة المأمور بها فهي إعفاء اللحية، وقد خاض كثير من الناس في هذا الباب، وبعضهم أنكر وجوبها تقليدا لليهود والنصارى وظنا بأن الجمال إنما هو في ذلك الحلق، ورأى في إعفاء اللحية تشويها للوجه، وقد

1- البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، رقم 5932: 7/165.
2- البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، رقم 5938: 7/165.
3- القرضاوي، **الحلال والحرام في الإسلام**: ص 70.

بين الرسول عليه السلام علة تحريم الحلق بقوله: «خالفوا المشركين، وفروا اللحى، وأحفوا الشوارب».[1]

يقول د القرضاوي: "وإنما أمر الرسول بمخالفتهم ليربي المسلمين على استقلال الشخصية، والتميز في المعنى والصورة، والمخبر والمظهر، فضلا عما في حلق اللحية من تمرد على الفطرة، وتشبه بالنساء، إذ اللحية من تمام الرجولة، ومن دلائلها المميزة".[2]

وقد ورد في بعض الآثار عن عائشة: "ملائكة السماء يستغفرون لذوائب النساء ولحى الرجال يقولون: سبحان الله الذي زين الرجال باللحى والنساء بالذوائب".[3]

ومما شدد فيه النبي أيضا النهي عن اتخاذ الزينة وسيلة للشهرة والخيلاء، فعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة».[4]

وكان النبي يحرص على مراقبة لباس صحابته، ويبين أن جمال الرجل إنما يتم بحسن مظهره وعدم مخالفته للشرع، فعن أيمن بن خريم بن فاتك عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: «نعم الفتى خريم لو قصّر من شعره ورفع من إزاره. فقال خريم: لا يجاوز شعري أذني ولا إزاري عقبي».[5]

على أن جر الثوب ليس بحد ذاته منهيا عنه بل العلة متعلقة بنية المباهاة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله

1- البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، رقم 5889: 160/7.

2- القرضاوي، **الحلال والحرام في الإسلام**: ص 74.

3- رواه الحاكم عن عائشة، وإسناده ضعيف.

4- القزويني، سنن ابن ماجة، كتاب اللباس، باب من لبس شهرة من الثياب، رقم 3606: 1192/2. وحسنه الألباني.

5- الطبراني، المعجم الأوسط، رقم 3506: 19/4. وقال: لم يرو هذا الحديث عن عبد الملك بن عمير إلا المسعودي تفرد به يونس بن بكير.

إليه يوم القيامة. فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه؟، فقال رسول الله ﷺ: إنك لست تصنع ذلك خيلاء».[1]

ومما سبق نجد أن السنة النبوية قد حددت لنا معالم الجمال من الناحية الشرعية، بحيث أن كل مخالفة لها يعد قبحا وتشويها لفطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي تتلخص في أربعة ضوابط:

- ألا يكون في الزينة المتخذة تشبه المرأة بالرجل أو الرجل بالمرأة.
- ألا يكون فيه تشبه بعادات اليهود والنصارى.
- ألا يكون فيه تغطية أو تغيير لأصل خلقة الإنسان إلا ما كان للضرورة المعتبرة شرعا.
- ألا يكون بنية الخيلاء والتباهي على الناس.

ويلحق بهذا المعيار ما تعلق بالفطرة، ونعني به ما يعد جميلا في نظر الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، ذلك أن الناس قد يبدعون صورا من اللباس أو الزينة أو تغيير خلق الله باعتباره جمالا وأناقة في نظرهم، فيبين الرسول عليه السلام أشكال التزين والنظافة المطلوبة في الإنسان، بحيث يعد التخلي عنها تشويها لخلقة الإنسان التي يريدها الله تعالى. فعن عائشة عن رسول الله ﷺ: «عشرة من الفطرة: قصّ الشّارب، وقصّ الأظفار، وغسل البراجم، وإعفاء اللحية، والسّواك، والاستنشاق، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء، قال مصعب: ونسيت العاشرة إلاّ أن تكون المضمضة».[2]

وكتطبيق لذلك نجد الرسول عليه السلام يشدد أحيانا على من لا يأخذ زينته التي ينبغي أن يتخذها لاسيما عند مخالطته للناس، وينكر على من يهمل رعاية

---

1 – البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذا خليلا، رقم 3665: 06/5.

2 – النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، **سنن النسائي الصّغرى**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب–سوريا، الطبعة الثانية، 1406هـ–1986م. كتاب الزينة، باب سنن الفطرة، رقم 5040: 126/8. وقال الألباني: حسن.

مظهره، فقد روى عطاء بن يسار: قال : «كان رسول الله ﷺ في المسجد، فدخل رجل ثائرَ الرأْس واللحية ، فأَشار إليه رسول الله ﷺ بيده ، كأنه يأمُرُه بإِصلاحِ شعره ولحيته ، ففعل، ثم رجع ، فقال رسولُ الله ﷺ: أَليس هذا خيرا مِن أَن يأتيَ أحدُكُمْ وهو ثائِرُ الرأس، كأنه شيطان».[1]

ولم يقتصر الأمر عند النبي عليه السلام في الأمر بتزيين الهيئة، بل تعدى ذلك إلى حرصه على جمال الأسماء والألقاب، فالاسم يعبر في الغالب على شخصية الإنسان ويؤثر في سلوكه وتصرفاته. وقد ورد في السنة مواقف عدة غيّر فيها النبي أسماء بعض الصحابة إذ رآها سيئة غير لائقة بهم بأسماء جميلة تحمل معاني الخير والحسن.

فعن سعيد بن المسيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه، أنّ النبي ﷺ قال له: «ما اسمك ؟ قال: حزن، قال: بل أنت سهل. قال: لا أغير اسما سمانيه أبي، ولم يكن يومئذ أسلم. قال ابن المسيب: فما زالت فينا حزونة».[2]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «جاءت إلى النبي ﷺ عجوز فقال: من أنت؟، قالت: جثامة المزنية، قال: بل أنت حسانة المزنية».[3]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقال له شهاب، قال: بل أنت هشام».[1]

---

1 – الأصبحي، مالك بن أنس أبو عبد الله، **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، القاهرة، دت، كتاب الشعر، باب إصلاح الشعر، رقم 1702: 949/2.

2 – البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه، رقم 6193: 43/8.

3 – البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، **الآداب**، تحقيق: أبو عبد الله السعيد المندوه، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1408 هـ- 1988 م، باب في كرم العهد، رقم 178: 72/1.

وعن بشير بن نهيك، عن بشير مولى رسول الله ﷺ وكان اسمه في الجاهلية: زحمَ بنَ معبد، فهاجر إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما اسمُكَ؟، قال: زَحْم، فقال: بل أنَتَ بشير».[2]

ثالثاً: المعيار العقدي:

ونعني بالمعيار العقدي أي الجانب الإيماني ومقتضيات الإخلاص والنية الصالحة، فقد ورد عن رسول الله ما يبين أن العبرة ليست بالشكل وإنما بتقوى وورع الإنسان حيث يرفعه إلى درجة أن يكون مستجاب الدعوة مقبولا وجيها عند الله، ولو لم يأبه به الناس، أو احتقروه للونه أو جنسه.

فالإنسان لما لا يكون مسلما مطيعا لله، فهو في نظر الله عز وجل من أحقر المخلوقات كما ورد النص على ذلك في آيات عدة كقول الله تعالى عن الكفار: ﴿اَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمُ إلاَّ كَالاَنْعَامِ بَلْ هُمُ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: 44]، ويقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الاِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، إِلاَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين:4-6]. ويصور الله عز وجل الكافر في أقبح منظر فيقول: ﴿اَفَمَنْ يَّمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰٓ أَمَّنْ يَّمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: 22].

قال ابن القيم: "وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته، كما في الحديث الصحيح: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال، فتكسوا صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتست روحه من

---

1 – الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ. رقم 2387: 3/35.

2 – السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود ، **سنن أبي داود**، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، دت، كتاب الأدب، باب المشي في النعل بين القبور، رقم 3232: 3/210. وقال الألباني: صحيح.

تلك الصفات فإن المؤمن يعطى مهابة وحلاوة بحسب إيمانه فمن رآه هابه ومن خالطه أحبه وهذا أمر مشهود بالعيان فإنك ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورة وإن كان أسود أو غير جميل ولا سيما إذا رزق حظا من صلاة الليل فإنها تنور الوجه وتحسنه".[1]

ونجد في السّنّة مصداق هذه الآيات، فقد روى عن جابر بن عبد الله قال: «خطبنا رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق خطبة الوداع، فقال: يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فليبلغ الشاهد الغائب».[2]

ويبين الحديث الآتي في صورة قبيحة منفرة منزلة من يحتقر غيره لنسبه أو لونه، فاعتبره الرسول عليه السلام أشبه بحشرة الجعلان القبيحة، قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عَيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْفَخْرَ بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ فَخْرِهِمْ بِآبَائِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ النَّتَنَ بِأَنْفِهَا».[3]

وبالمقابل، نجد النبي عليه السلام يزين صورة الإنسان المسلم الصالح في نظر الناس، ببيان قدرهم ومنزلتهم عند الله، ولذا نجد في السيرة أن من أقرب صحابة رسول الله إلى نفسه وأحبهم عنده كثير من الفقراء والموالي والعبيد، ومن أولئك عبد الله بن مسعود، فقد كان ضعيف البنية، دقيق العظم، حتى تندر به بعض الصحابة، فنهاهم النبي وبين لهم باطن ما يرونه في الظاهر، فعن معاوية بن قرة عن أبيه: «أنّ ابن مسعود كان يجني لهم نخلة فهبّت الريح فكشفت عن ساقيه،

---

1 – روضة المحبين: ص 221.

2 – البيهقي، **شعب الإيمان**، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض–السعودية، الطبعة الأولى، 1423هـ–2003م. رقم 4774: 132/7. وقال: في إسناده بعض من يجهل.

3 – البيهقي، شعب الإيمان، 4763: 125/7.

فضحكوا من دقّة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: أتضحكون من دقة ساقيه؟، والذي نفسي بيده! لهما أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحد».[1]

ومثال ذلك أيضا ما صدر من عائشة رضي الله عنها من كلام في حق صفية، لقصر قامتها، حيث بين رسول الله لها سوء فعلتها ومدى قبح ذلك القول بمثال بليغ، قالت عائشة: «حكيت لرسول الله ﷺ رجلا، فقال: ما يسرني أني حكيت رجلا، وإن لي كذا وكذا، قلت: إن صفية امرأة، وأشارت إلى أنملة - يعني قصيرة -، فقال: لقد مزحت بكلمة إن مزج بها البحر مزجت».[2]

وقد جاء في بعض الآثار: «إنّ العاقل من أطاع الله وإن كان دميم المنظر حقير الخطر، دني المنزلة، رث الهيئة، وإنّ الجاهل من عصى الله وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة، فصيحا نطوقا، والقردة والخنازير أعقل عند الله ممن عصاه، ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا إياكم، فإنّهم غدا من الخاسرين».[3]

---

1 - الطبراني، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، 1404، 1983، رقم 59: 28/19. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح غير أم موسى وهي ثقة: 472/9.

2- البيهقي، **شعب الإيمان**، رقم 6721: 301/5.

3- قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: أخرجه داود بن المجبر أحد الضعفاء في كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحارث بن أبي أسامة عن داود: 161/1.

المطلب الثالث: مقاصد التجمّل والجمال وغاياتهما الشرعية.

ليس الجمال مطلوبا لذاته في الشريعة الإسلامية، وإنما أمر به الشارع لتحقيق غايات دنيوية وأخروية، يمكن إيجازها في العناصر الآتية:

أوّلاً: تحقيق مقاصد الشريعة. (حفظ الدين، حفظ العرض)

1- حفظ الدين.

شرع الله عز وجل ورسوله أحكاما وسننا غايتها حفظ مقصد الدين ونعني به ما فيه إقامة للشعائر لاسيما الصلاة، ومن تلك السنن ما ورد في التزين والتجمل لها، ترغيبا وتحبيبا للنفوس فيها.

يقول الشاطبي مقررا هذه الحقيقة ومبينا غرض الحديث عن الجمال في القرآن والسنة: "وأما آيات الزينة والجمال والسكر؛ فإنما ذكرت فيها لتبعيتها لأصول تلك النعم، لا أنها هي المقصود الأول في تلك النعم. وأيضًا فإن الجمال والزينة مما يدخل تحت القسم الأول؛ لأنه خادم له، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: 32]. وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله جميل يحب الجمال»، «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»".[1]

ويدخل الجمال وما إليه من معاني الزينة في باب التحسينات التي تخدم مقاصد الشارع الضرورية والحاجية، قال الشاطبي: "وأمّا التحسينات، فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق، وهي جارية فيما جرت فيه الأوليان:

ففي العبادات، كإزالة النجاسة -وبالجملة الطهارات كلها-، وستر العورة، وأخذ الزينة، والتقرب بنوافل الخيرات من الصدقات والقربات، وأشباه ذلك. وفي العادات، كآداب الأكل والشرب، ومجانبة المآكل النجسات والمشارب

1- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م: 325/3.

المستخبثات، والإسراف والإقتار في المتناولات. وفي المعاملات، كالمنع من بيع النجاسات، وفضل الماء والكلأ، وسلب العبد منصب الشهادة والإمامة، وسلب المرأة منصب الإمامة، وإنكاح نفسها، وطلب العتق وتوابعه من الكتابة والتدبير، وما أشبهها. وفي الجنايات، كمنع قتل الحر بالعبد، أو قتل النساء والصبيان والرهبان في الجهاد.

وقليل الأمثلة يدل على ما سواها مما هو في معناها، فهذه الأمور راجعة إلى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية، إذ ليس فقدانها بمخل بأمر ضروري ولا حاجي، وإنما جرت مجرى التحسين والتزيين".[1]

ومن أمثلة توجيهات رسول الله في التزين للصلاة ما روي عن ابن عمر ﷺما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلّى أحدكم فليلبس ثوبيه، فإنّ الله أحقّ من يزيّن له، فإن لم يكن له ثوبان، فليتّزر إذا صلّى، ولا يشتمل أحدكم في صلاته اشتمال اليهود».[2]

وقد بينت السنة أفضل الألوان في إقامة العبادات، وهو اللون الأبيض، فعن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «البسوا هذه الثياب البيض، فإنها أطيب وأطهر، وكفنوا فيها موتاكم».[3]

ومن خصائص اللون الأبيض كما هو مشاهد ما يدخله من طمأنينة في النفس لدى الرائي، فإن الإنسان كلما رؤي بلون أبيض إلاّ دلّ في الظاهر على حسن مخبره واستقامة حاله، كما أنه يحمل صاحبه على توخي الحذر من الوسخ والنجاسة إذ يظهران عليه أكثر من أي لون آخر.

---

1 – المصدر نفسه: 2/ 23.

2 – السجستاني، **سنن أبي داود**، كتاب اللباس، باب من قال يتزر به إذا كان ضيقا، رقم 84: 1/ 242. وصححه الألباني.

3 – القزويني، **سنن ابن ماجة**، كتاب اللباس، باب البياض من الثياب، رقم 3566: 2/ 1181. وصححه الألباني.

قال ابن عثيمين في بيان هذا المعنى: "الثوب الأبيض خير من غيره من جهة الإضاءة والنور، ومن جهة أنه إذا اتّسخ أدنى اتساخ ظهر فيه، فبادر الإنسان إلى غسله، أمّا الثياب الأخرى فربما تتراكم فيها الأوساخ، والإنسان لا يشعر بها ولا يغسلها، وإذا غسلها فلا يدري هل تنظف أم لا؟، فلهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم»، وهو شامل للبس الثياب البيض القمص والأزر والسراويل كلها ينبغي أن تكون من البياض فإنه أفضل".[1]

وقد حرص الرسول عليه السلام على استكمال الزينة الظاهرة والباطنة عند إقامة الصلاة لاسيما في المساجد، فنهى المصلي عن قربها إذا كانت في فمه رائحة قد تؤذي المصلين، فعن أبي النجيب، مولى عبد الله بن سعد، أن أبا سعيد الخدري حدثه أنه ذكر عند رسول الله ﷺ الثوم والبصل. قيل: يا رسول الله، وأشدّ ذلك كله الثوم. أفتحرّمه؟، فقال النبي ﷺ: «كلوه، ومن أكله منكم فلا يقرب هذا المسجد حتى يذهب ريحه منه».[2]

وفي هذا السياق نجد حرص الرسول على جمالية المكان، سواء في الطريق العام أو في الأماكن الخاصة لاسيما دور العبادة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا النُّخَامَةُ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ».[3]

وفي باب الترغيب في عبادة الصوم، يستثير النبي عليه السلام الذوق الجمالي الحسي، فيجعل رائحة فم الصائم التي هي في العادة غير مرغوب فيها بمثابة ريح المسك عند الله، والسامع لهذا الحديث يستعذب ما يصدر من فمه من رائحة هي

---

1 – العثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين، موقع جامع الحديث النبوي، ترقيم المكتبة الشاملة، الإصدار الرابع: ص 877.

2 – البستي، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ-1993م، رقم 2085: 5/439.

3 – ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، 1461: 4/519.

في الأصل كريهة، ويحمله ذلك على الرغبة في الصوم كلما وجد إليه سبيلا، طمعا في ثواب الله، والحديث رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «كل عمل ابن آدم له، إلاّ الصوم فإنّه لي، وأنا أجزي به، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».[1]

يقول السندي في شرح هذا المثل البليغ: "أي صاحبه عند الله بسببه أكثر قبولا ووجاهة وأزيد قربا منه تعالى من صاحب المسك بسبب ريحه عندكم، وهو تعالى أكثر اقبالا عليه بسببه من إقبالكم".[2]

2- حفظ العرض.

وأمّا حفظ العرض، فقد اهتم به الرسول عليه السلام من خلال أمره الأزواج بالزينة والحسن، لاسيما المرأة أمام زوجها، وفي ذلك حفظ له من الافتتان بغيرها والوقوع في مهالك الفاحشة، حتى عد الرسول عليه السلام تزين المرأة وتجملها لزوجها من أعظم خصالها، فعن أبي هريرة قال: «قيل لرسول الله ﷺ: أي النساء خير؟، قال: التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره».[3]

بل شدّد النبي على الزوج الذي يترك الزينة بدعوى التبتل والرهبانية كما هو مشهور في خبر النفر الثلاثة، فعن أبي أمامة ﷺ قال: كانت امرأة عثمان بن مظعون امرأة جميلة عطرة تحب اللباس والهيأة لزوجها، فزارتها عائشة وهي تفلة، قالت: ما حالك هذه؟، قالت: إن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم علي بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، وعثمان بن مظعون، قد تخلوا للعبادة وامتنعوا من النساء

---

1 - البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، رقم 1894: 3/24.

2 - السندي، نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن، **حاشية السندي على النسائي**، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية ، 1406-1986: 4/161.

3 - النسائي، **سنن النسائي**، كتاب النكاح، باب أي النساء خير، رقم 3227: 6865. وصححه الألباني.

وأكل اللحم وصاموا النهار وقاموا الليل، فكرهت أن أريه من حالي ما يدعوه إلى ما عندي لما يخلي له. فلما دخل النبي ﷺ أخبرته عائشة، فأخذ رسول الله ﷺ نعله فحملها بالسبابة من إصبعه اليسرى، ثم انطلق سريعا حتى دخل عليهم، فسألهم عن حالهم، قالوا: أردنا الخير، فقال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت بالحنيفية السمحة، ولم أبعث بالرهبانية البدعة، ألا وإن أقواما ابتدعوا الرهبانية فكتبت عليهم فما رعوها حق رعايتها، ألا فكلوا اللحم، وائتوا النساء، وصوموا وأفطروا، وصلوا وناموا، فإني بذلك أمرت».[1]

وقد مر في المطلب الأول حديث: «تنكح المرأة لأربع: لماله ولحسبها ولجمالها»، قال الطيبي معلقا على لفظ الجمال الوارد في الحديث والغرض منه: "قد مرّ أن الداعي إلى النكاح إمّا المال أو الحسب أو الجمال أو الدين، فمن غرضه الجمال فليتحر في النظر إلى ما قصده بأن ينظرها اكتفاء بنفسه أو بأن يبعث من ينعتها له، وهذا معنى الاستطاعة.

ويمكن أن يحمل الداعي على كسر الشهوة وغض البصر عن غير المحارم فحينئذ يكون الجمال مطلوبه، إذ به يتحصل التحصين، والطبع لا يكتفي بالذميمة غالبا، كيف والغالب أنّ حسن الخلق والخلق لا يفترقان، وأن ما روي أن المرأة لا تنكح لجمالها ليس زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين".[2]

---

1 – الطبراني، **المعجم الكبير**، رقم 7715: 170/8، وفي إسناده من يضعف، لكن أصل الحديث في الصحيحين.

2 – القاري، الملا علي، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، موقع المشكاة الإسلامية**، ترقيم المكتبة الشاملة، الإصدار الرابع، 57/10.

ولعله يشير إلى الأثر الوارد في هذا الباب، وهو ما روي عن رسول الله ﷺ: «إيّاكم وخَضراء الدمن! قيل: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء».[1]

قال أبو عبيد: "أراه أراد فساد النسب إذا خيف أن تكون لغير رِشدة وهذا مثل حديثه الآخر: «تخيّروا لِنُطَفكم». وإنما جعلها خضراء الدّمن تشبيها بالشجرة الناضرة في دِمنة البعر، وأصل الدمن ما تدمنه الإبل والغنم من أبعارها وأبوالها، فربما نبت فيها النبات الحسن وأصله في دِمنة، يقول: فمنظرها حَسَن أنيق ومنبتها فاسد".[2]

ثانيا: إظهار نعمة الله تعالى.

من مقاصد التجمّل في الإسلام إظهار أثر نعمة الله على العبد، فقد أمر النبي عليه السلام صاحب النعمة بعدم سترها وذلك من تمام شكرها، لاسيما من كان ذا مال، فعَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَبْصَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيَّ خُلْقَانًا فَقَالَ: «أَلَكَ مَالٌ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: «أَنْعِمْ عَلَى نَفْسِكَ كَمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ». وفي رواية: «فَيُرَى أَثَرُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ».[3]

قال المناوي: "فلا ينبغي لعبد أن يكتم نعمة الله عليه ولا أن يظهر البؤس والحاجة بل يبالغ في التنظف وحسن الهيئة والتّجمّل".[4]

---

1 – قال ابن عدي: تفرد به الواقدي، وذكره أبو عبيد في الغريب، فقال: يروى عن يحيى بن سعيد بن دينار. قال ابن طاهر وابن الصلاح يعد في أفراد الواقدي، وقال الدارقطني: لا يصح من وجه.

2 – الهروي، القاسم بن سلام أبو عبيد، **غريب الحديث**، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1396ه: 3/99.

3 – البيهقي، **الآداب**، رقم 487: 1/199.

4– المناوي، زين الدين عبد الرؤوف، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، 1408هـ، 1988م: 1/110.

وفي هذا المعنى أورد البيهقي بسنده عن ابْن الْحَنْظَلِيَّةِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَنَا يَوْمًا: «إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ وَرِحَالَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ».[1]

وذكر السفاريني فوائد التجمل في الأغنياء، قال: "وفي تجمل الأغنياء عدة فوائد: منها إظهار أثر نعمة الله عليه . ومنها التماس الفقراء مما لديه، ومنها لئلا تدفع الزكاة إليه، ومنها دفع الإساءة ممن يعتدي عليه. إلى غير ذلك من الفوائد، ولكن لا بد من ملاحظة التواضع والانخفاض والاعتراف بالمنة لمن أسدى إليه هذه النعم ، والشكر له سبحانه على ما منحه من الكرم".[2]

ثالثا: الترغيب في الإسلام وفي التكاليف الشرعية.

يستعمل النبي عليه السلام أيضا الذوق الجمالي لدى الإنسان لبيان حكمة الشريعة ومعاني التكاليف الشرعية وفوائدها، ومن ثم تحبيبها في نفس السامع.

ومما ورد في ذلك تشبيهه للصلوات الخمس وما تحدثه من أثر في حياة المسلم، بنهر جار صاف يستحم فيه المرء خمس مرات في اليوم، فإن السامع لذلك ترتسم في ذهنه صورة جميلة نقية عن الصلاة في حياته. قال عليه السلام: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟، قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا».[3]

---

1 – البيهقي، **شعب الإيمان**، رقم 5794: 8/266.

2 – السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم، **غذاء الألباب شرح منظومة الآداب**، تحقيق : محمد عبد العزيز الخالدي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1423 هـ، 2002 م: 2/205.

3 – البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، رقم 528: 1/112.

وعن نعيم المجمر قال: رقيت مع أبي هريرة على ظهر المسجد، فتوضأ فقال: إني سمعت النبي ﷺ: «يقول إن أمتي يدعون يوم القيامة غرّا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل».[1]

قال ابن حجر في شرح هذا الشبه: "قوله: غُرّا، بضم المعجمة وتشديد الراء، جمع أغرّ، أي ذو غرّة، وأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد بها هنا النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ".[2]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يوما لأصحابه وأنا حاضر: «لو كان لأحدكم هذه السارية لكره أن تجدع، كيف أن يعهد أحدكم فيجدع صلاته التي هي لله، فأتموا صلاتكم، فإن الله لا يقبل إلاّ تامّا».[3]

وعن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ قال: «من توضأ أحسنَ الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتني، ثم صعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور ففتحت لها أبواب السماء حتى يُنتهى بها إلى الله تعالى فتشفع لصاحبها، وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت الصلاة: ضيعك الله كما ضيعتني، ثم صعد بها إلى السماء وعليها ظلمة فأغلقت دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها».[4]

---

1 – البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والغر المحجلون من آثار الوضوء، رقم 136: 1/39.

2 – العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، الناشر: دار المعرفة، بيروت، 1379ه: 1/236.

3 – الطبراني، المعجم الأوسط، رقم 6296: 6/241.

4 – البيهقي، شعب الإيمان، رقم 2871: 4/501. وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والبزار بنحوه وفيه الأحوص بن حكيم وثقه ابن المديني والعجلي وضعفه جماعة وبقية رجاله موثقون، انظر: الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، الناشر: دار الفكر، بيروت، 1412ه: 2/304.

وقد صور النبي عليه السلام نفسه بالنسبة إلى الأنبياء، أو الإسلام بالنسبة لما سبقه من الرسالات تصويرا جماليا، إذ عدّ الأنبياء والرسل قبله بمثابة بناء بهي المنظر مكتمل الأركان، إلا لبنة واحدة تنقصه، وعد نفسه أنه تلك اللبنة التي يكتمل بها جمال البنيان، عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟. قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين».[1]

1 – البخاري، **صحيح البخاري**، باب خاتم النبيين ﷺ، رقم 3535: 186/4.

خاتمة.

يمكن أن نضع في خاتمة هذا البحث النتائج والملاحظات الآتية:

- سبق الإسلام في الاهتمام بالجمال ومظاهره، يظهر ذلك في تضمن أحكامه الأمر به على سبيل الوجوب أو الندب في مختلف أبواب الفقه.
- اهتمام النبي عليه السلام بالجمال، وقد ظهر ذلك في شمائله وسيرته.
- لم يرد في السنة تعريف للجمال، وإنما عبرت عنه الأحاديث بالوصف، وهذا يؤكد ما يراه من كتب في الموضوع بصعوبة وضع حد له، لأنه أمر يتعلق بالذوق الذي يختلف من إنسان لآخر.
- وضعت السنة النبوية معايير للجمال تمثلت في ثلاثة هي: شمائل النبي عليه السلام باعتباره أكمل الناس خلقا وخلقا، الأحكام الشرعية وجوبا أو ندبا أو نهيا، عقيدة الإنسان واستقامة نيته، وهو المعبر عنه بالجمال الباطني.
- بين البحث أن الجمال في الشرع نوعان ظاهري وباطني، وأن الظاهري لا تكون له قيمة إلا إذا اجتمع إليه الجمال الباطني، بخلاف جمال الباطن الذي لا يؤثر فيه غياب جمال الظاهر من حيث الديانة والشرع.
- قصدت السنة النبوية من خلال الأمر بالتجمل إلى تحقيق حكم عظيمة تمثلت في حفظ مقاصد الشرع لاسيما الدين، والعرض، حث المسلم على القيام بالتكاليف الشرعية من خلال تزيين صورتها في نفسه وذهنه، إظهار محاسن الإسلام وفضله على غيره، إظهار نعمة الله تعالى على عباده.
- السنة النبوية طافحة بالنصوص التي يمكن أن تفيدنا بتفاصيل أكثر في موضوع الجمال، وتقدم لنا مداخل عدة له، كما رأينا في هذا البحث، والله أعلم.

وسبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.
والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- الأصبحي، مالك بن أنس أبو عبد الله، **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، القاهرة، دت.

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة-بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ-1987م.

- البستي، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ-1993م.

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، **الآداب**، تحقيق: أبو عبد الله السعيد المندوه، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1408 هـ- 1988 م.

- البيهقي، **شعب الإيمان**، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض-السعودية، الطبعة الأولى، 1423هـ-2003م.

- الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن القيم)، **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 – 1992

- السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود، **سنن أبي داود**، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، دت.

- السندي، نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن، **حاشية السندي على النسائي**، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية ، 1406-1986.

- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م.

- الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ.

- الطبراني، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، 1404، 1983.

- العثيمين، **محمد بن صالح بن محمد**، شرح رياض الصالحين، موقع جامع الحديث النبوي، ترقيم المكتبة الشاملة، الإصدار الرابع.